

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية ، جامعة ، فصلية

المجلد ٥٣ العدد ٢-٤

٢٠٠٢م

مدير التحرير التنفيذي

د/ رضوان الرحمن



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بهاون، نيو دلهي

الهند

المساجد التاريخية في دلهي

- د/ ضياء الدين ديسانى

ترجمة: منظور أحمد واني

يرجع تاريخ بناء المسجد في الهند إلى العقد الأخير للقرن الثالث عشر المسيحي و لا نعثر على ما قبل ذلك. ولو أن المصادر الأدبية تدل على أن المسلمين في نفس القرن الثامن المسيحي حينما نزلوا أول ما نزلوا بشبه هذه القارة بنوا المساجد حتى المسجد الجامع في المستعمرات الإسلامية في المناطق الساحلية و لكن لما نجد أي اثر لأي مسجد حتى مسجد عصر السلطان محمود الغزنوي و آثاره الإسلامية مع أن سلالاته حكمت على البنجاب لمدة طويلة.

فأقدم مباني الهند الإسلامية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر حينما هزم محمد بن سام المعروف بمحمد الغوري برتوي راج تشوهان وأسس حكومة إسلامية ثابتة و لنحفظ أن هذا العصر هو الذي بلغ فيه فن الهندسة

المساجد التاريخية في دلهي

الإسلامي إلى أوجه في بناء المساجد البدائية و كما توجد في البلاد الأخرى غير الهند معالم المهندسين المعماريين من المسلمين في صورة المساجد فكذلك مثل هذه المعالم توجد هنا و هو شيء فطري إلا أن في البدائية واجهوا مشكلة كبرى في هذه البلاد أنهم لم يجدوا نموذجا معماريا يوفر لهم أسباب ومواد البناء و النقش و كذلك مضت مدة ملحوظة للحكام والمهندسين الهنود الذين توكلوا عليهم في هذا المجال في الحصول على أساليب الخرائط الإسلامية و لم يكن عدد المهندسين قليلا في بلادنا بل و قد بلغ فن الهندسة فيها إلى أوجه و كان له أسلوب خاص لكن هذا الأسلوب المحلي كان مختلفا إلى حد بعيد عن الأسلوب الإسلامي في معناه الظاهر و أيضا في مواد البناء و الأساليب التي اضطر إلى استخدامها في بناء مساجدهم المعمورة. وتعرفون أن المسجد له فناء واسع مفتوح يحيط بها الحجرات و شرفة تساندها الأعمدة و هي في شكل القوس و لكن هذه كلها كانت مفقودة هنا. و مع هذا كله فالمواد البنائية كان معظمها الحجر و لذلك اعتادوا على بناء الأعمدة الموضوعة فلم يكن هنا محراب و لا أعمدة جانبية لها أهمية كبرى في الإحاطة

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

بموقع واسع و لا سيما حينما تبني المباني بالأجر و معجون الطين و الحجر...

وبالرغم من هذا فالقبة و المنارتان و الباب الذي يشبه القبة و ما يشبهها أجزاء لفن هندسة العمارة الجديد. وهي أيضا تتحصر في الأشكال الطغرائية و الزهور المتلونة و اللوحات العديدة من طرق الخط العديدة ذات الألوان الشتى و الترصيع الذهبي و استخدام الحجر الأزرق . فإن الإسلام لا يسمح تماثيل الأناس و غيرهم من الأنعام و الطير من الحيوانات.

و كان الخلاف بين هذين الأسلوبين الوطني والخارجي درجة أولى للاختلاط بين الفن الهندي والإسلامي و بناء المسجد جزء مهم من هذا . ذهب هذا الخلاف شيئا فشيئا و كيف قطعت مسافة هذا التذبذب البدائي و كيف اختلط الأول بالأخر و صار فنا واحدا هذا كله قصة طويلة تستطيع أن تقرأها في جدران المساجد و المباني الإسلامية التي ظهرت في مختلف أنحاء البلاد في مختلف الأدوار و العهود فإن هذه المباني الصامتة التي حفظت من ظلم الدهر لمدة ألف سنة تشهد بكمال هؤلاء البنائين في هذا الفن . إنهم خلقوا خرائطها ثم بنوها طبقا لها حتى أنها صارت جزءا من تاريخنا الوطني في جمالها و عظمتها.

المساجد التاريخية في دلهي

نماذج دلهي:

يبدو اختلاف هذين النموذجين كثيرا في المساجد القديمة للغاية مثل مسجد قوة الإسلام لدلهي و مساجد أجمير ليومين و نصف التي وضع حجر أساسها قطب الدين أيبك في ١١٩٦ م و ١١٩٩ م فيبدو من النظرة الخاطفة إليها أن عددا من أصول البناء لا توافق الأفكار والخرائط والأساليب الإسلامية. فخذ على سبيل المثال المحراب و القبلة، فلا يوضع حجر الوتد و لا تلحق أحجار القبلة بكل كسرها. بل هي وضعت في أسلوب الكسر لا الجمع الذي كان يعم حين ذاك في هذه البلاد و هكذا وضع السقف ذو القبلة المدورة على بناء مربع يسانده محاريب كالأوتاد كان شيئا جديدا للبنائين الهنود فيثبت من هذا الوضع الموقت من مساجد دلهي و أجمير أن محاولة الاختلاط بين الأسلوب الوطني الخارجي لم تقز بأسلوب مقتنع.

و أسفر هذا عن أن هذه المساجد، بعد ما تم بناءها، بدت كأنها هندوسية لا إسلامية. لا شك في أنها تتكون من القبلة و المحراب و لكن هذه الأجزاء الإسلامية تم بناءها أيضا بأسلوب الكسر فتجد على مسجد قوة الإسلام و جدرانه و تاج عماده و صفه و ترصيعه و صفه أثرا هندوسيا ويكثف هذا الأمر مزيدا حينما تعرف أن المواد التي استعملت في

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

بناءه كانت من المعابد الوثنية القديمة. و لذلك فقد احتاج البنائون إلى زيادة حصار قوسي في جانبه الغربي يتصف بالأسلوب الإسلامي لكي يبدو المسجد إسلاميا بناء و لو أن هذا الحصار جيد جدا و لكنه لم يجذب الأنظار و السبب الأكبر له أن البناء كله بني حسب فن الهندسة المعمارية فإن محاربه لم تكن طبقا للأسلوب المعلوم لبناء المحراب حتى نقوش أرضية محلية، إلا ما بدله ألتمش (١٢١١-١٢٣٦م) فهو يرى أنه إسلامي شيئا ولكنه من الواقع أن أهمية بناء المحراب لسبب الأسلوب المحلي نفس الخصائص التي توجد في مسجد أجمير الذي بناه قطب الدين ايبك في ١١٩٩م و وسعه ألتمش في ١٢٣٠م ولكن أثر مختلف جهاته العام أكثر من مسجد قوة الإسلام لدلهي- بناءه أيضا جيد و كذلك توجد تغييرات لا بأس بها في خرائط مثل منارتيه العموديتين و محراب جوانبه ذي الأسنان " يبدو أن فن الهندسة الإسلامي يريد أن يثبت فضليته شيئا فشيئا في شكله الظاهر و نماذجه.

و في بدء القرن الثالث عشر تغلب على فن الهندسة الإسلامي بيئة إسلامية جديدة فوقع التغيير في بناء المسجد لاسيما في حجمه فبناء هذه البلاد برعوا في الفن الإسلامي للهندسة في مدة وجيزة جدا و بذلك جاء فن متحدث ثابت في

المساجد التاريخية في دلهي

مجال البناء و النقش و يُرى نموذجه في باب دلهي العلاني الذي تم بناءه في عصر علاء الدين الخلجي (١٢٩٦-١٣١٦م) ثم بنى مسجد يصدق معيار فن الهندسة الإسلامي فمحرابه و قبته تم بناءها على الطراز الأصلي و نذكر على سبيل المثال " مسجد جماعة خانه" لدلهي. و هناك فرق مهم آخر بينه وبين المسجدين الأخيرين ففيه فناء واحد لأداء الصلاة و لا يحيط به رواق من جهاته الثلاث و ربما السبب وراء ه استخدام هذا المسجد للحاجيات المحلية فقط.

و الآن وقد سيطر الحكم الإسلامي على عديد من الدول الهندية و لذلك فقد تم بناء مبان عديدة في مائة سنة قادمة كما وقعت تبدلات عديدة في مبنى المسجد و لو أن خريطته الأساسية لم تتغير شيئا. حال أسلوب بناء المسجد إلى السذاجة في عصر سلالة تغلق (١٢٣٠-١٤١٣م) و عصر فيروز شاه (١٣٥١-١٣٨٨م) فتوجد علامات مكثفة في المصلحات البنائية و التطريز إلا أن جمال الوضع وإفادته يوجدان حتى الآن. و أما المائة و خمسون سنة فكانت لسلطة السادات و اللوديين و السوريين (١٤١٤-١٤٤٤م ١٤٥١-١٥٢٦م، ١٥٥٠، ١٥٥٥م) ففي هذه المدة تقدم بناء المسجد قليلا و بلغت هذه المحاولات أوجها في حكم السلالات السورية و جعلت تظهر علامات الجمال

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

والسلاسة و الحسن و الصنعة في البناء لا سيما نقوش
السطح جعلت تصنع بإفراط و كثرة.

إن هذه الميزات للبناء تبدو من مساجد مختلف
العصور و يمكن نرى نماذجها المهمة في مساجد بيكم
بوري و كلان و كركي و شاه عالم إلا مساجد أقاصي
غوجرات مثل مساجد بروتش و كمبايت و دولكاد منغول.
و لمساجد دلهي خصائص عديدة منها سعة الجدران وشبهها
بذنب البقرة و استخدام المحراب و الأعمدة الجانبية في
أبوابها و غيرها من الأشياء الحديثة للبناء و فوق ذلك نقوش
سطوحها جيدة جدا مثل التطريز في جدرانها و التطريز
الأعلى في المحاريب و مختلف صور الزهور و الأجر
المتلونة و بما أن النقوش التي كانت موقنة قد ذهب بها
الدهر و هي تبدو كنيسة ففي بعض الأحيان تشك في مبانيها
و مباني حصن القرون الوسطى.

لما أسس حكم المغول في ١٥٢٦م كثر البناء الى
حد لا تجد مثلاله في أي عصر من العصور إلا أن
العصرين الأولين عصر بابر (١٥٢٦-١٥٣٠م) و عصر
همايون (١٥٣٠-١٥٥٦م) لم يتأثر بهذه الفعالية و لعل
السبب وراءه عدم توفيقهما مدة طويلة للحكم فقد انشغلا
بالسياسة و الجدال و القتال و الحرب و الضرب فلا نجد

المساجد التاريخية في دلهي

مسجدا نذكره مهما نظرنا إلى الفن. و الملك أكبر نفسه لم يترك أي مسجد مع أنه كان مولعا بالبناء و إلا مسجد فتحبوري الذي بُنى على الطراز القديم و لكن فيه آثار أجنبية إيرانية وصلت إليها في صورة مقبرة همايون والواقع أن قبة المسجد القوسية ظاهرة و بارزة بروز الأعمدة الجانبية في مباني العصر الأكبري.

و التغيير المهم الذي وقع في بناء المسجد جاء في عصر شاه جهان (١٦٢٧-١٦٥٨م) فبرز الشكل الخارجي جميلا و جذابا إلى حد بعيد و السبب له استخدام المرمر في موضع الحجر الأحمر. و وقع في المحراب جوانب أخرى جعلت تصنع أعمدة الخلف مما يشبه ذنب البقر الذي يشبه حجر أساسه الأصنام و التكتيفات و من قبل كان المحراب مائلا للداخل مع دائرة أرضيته و الآن صار كالقوس و وقع التجديد في النقش و جعلت تحفر الحروف كثيرا في الأرضية و يوضع المرمر الثمين و مثل هذا المسجد "موتي مسجد" الواقع في أغرة.

و في عصر أورنغ زيب يظهر الانحطاط في بناء المساجد حتى أن الوضع تدهور كثيرا في أيام خلفه (١٧٠٧-١٨٥٨م) وهو أثر تأثرا سينا في أسلوب البناء و أما خرائط المساجد التي تنتمي إلى العصور الأخرى لا

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

يوجد منها حسن الخريطة و لا حسن النقش فانحط الذوق إلى حد كبير إلا مسجد موتي في داخل القلعة الحمراء ولكن في الفترة ما بين ١٧٠٧م - ١٨٥٧م توجد شواهد عديدة للمساجد التي بُنيت في مختلف مناطق الهند.

(١) مسجد قوة الإسلام :

إن هذا المسجد أقدم مسجد إسلامي في تاريخ الهند الذي بُني على الطراز القديم في مساحة واسعة طوله ٤٣ مترا و عرضه ٢٣ مترا. يحيط به صفوف الأعمدة للأحجار السمرات ثلاثة من الشرق و اثنان من الجنوب وفي الغرب فناء لأداء الصلاة طوله ٤٥ مترا و عرضه ١٢ مترا. فيه أربعة أعمدة. وضع فيه عماد من حديد منذ عصره.

بنى قطب الدين أيبك هذا المسجد في الفترة ما بين ١١٩١-١١٩٦م امتثالا بأمر قائده السلطان الغوري ثم وسع فيه أتمش في ١٢٣٠م. إن هذا التوسيع وقع في جانبي الشمالي و الجنوبي ٣٥ مترا إنه ليس مسجدا رانعا من جهة البناء فقد وضعت أحجار المباني الهندوسية في جوانبه بدون نظام و ترتيب لإكمال خريطة القديمة و بالتالي يبدو المسجد بناء هندوكيا بسبب أعمدته و جوانبه و سقفه و أرضية القبلة. و أضيف إليه شبك إسلامي أخفى ظاهر الفناء.

المساجد التاريخية في دلهي

(٤) مسجد كركي:

تم بناء هذا المسجد في قرية كركي التي تقع على ضواحي دلهي على يد خان جهان. إنه يشبه من الخارج مسجد كلان إلى حد بعيد بل كلاهما يشبهان بعضهما بعضا من الخارج إلا أنه أكبر فيه بكثير. مساحته ٨٧ مربع متر كما أن مبناه ذو طابقين. ففي الطابق الأول حجرات ذات سقف قوسي وبنيت منارات قبيلة هابطة لخلف الجوانب والباب الشرقي يقوم مقام الباب الرئيسي. إنه خارج عن المبنى حتى سبعة أمتار كما أن الأبواب الأخرى خارجة عنه حتى أربعة أمتار و نصف متر وهناك ٨٥ برجا على السقف كله.

أما من الجهة البنائية فداخل المسجد ملفت للنظر. إنه يختلف تماما عن مسجد كلان. بني هذا المسجد في صورة صليب مثل كالي مسجد (المسجد الأسود) الذي توجد آثاره لدى مقبرة حضرة نظام الدين أولياء. فنائه المستطيل منقسم إلى أربعة أفنية صغيرة، يقطع بعضها بعضا في المركز في صورة زاوية قائمة و لكنه يبدو أنه لم يتبعه أحد فيما بعد.

(٥) مسجد بيغم بوري:

إنه يقع في قرية بيغم بور و لذلك سُمي بهذا الاسم ويقال إنه تم بناءه على يد خان جهان كما بني مسجد كركي.

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

إنه أكبر من مسجد كركي طوله ٩٤ متراً، و عرضه ٨٨ متراً. وبنى المسجد على الفناء القديم و الحجرات القديمة. بناءه ذو طابق واحد. فالأطراف الثلاثة التي تقع فيها حجرات توجد بها أبواب قببية فلا بد لمن يريد الوصول إلى الباب الشرقي الذي يخرج عن الجدار لزهاء ٩ أمتار من عروج ١٥ درجة. على الباب ٤٤ برجاً و فناء الصلاة الغربي يحتوي على ثلاثة أجزاء و في المركز حجرة مربعة عليها قبة كبرى و على أبوابها الثلاثة ثلاث حجرات صغيرة عليها أبراج كذلك. انهدم بعض منها. و لكن الجزء المهم من هذا المسجد محرابه الرئيسي المرتفع للغاية. و بابه عميق جداً. و فيه شباك يطلّ على الفناء المركزي الرئيسي و أعمدة هذا المحراب هابطة. كل منها يصل إلى السقف بواسطة الدرجات العمودية. هذا الجزء من المسجد له معلم تذكاري في فن الهندسة الهندية والذي تم تنفيذه فيما بعد في أبواب مساجد جونبور الشرقية المتينة و الثابتة.

(٦) مسجد ذو اثنتي عشرة قبة:

إن هذا المسجد يقع في فناء مقابر اللوديين في جانب الاثنتي عشرة قبة متينة. بناه رجل يسمى "أبو امجد" في ١٤٩٤م و لو أن مساحته ليست كبيرة و لكنه مهم لسبب بعض خصائصه الفنية. فيه فناء واحد، طوله ٢٦ متراً و عرضه ستة أمتار و نصف متر. ينقسم المسجد في خمسة

المسجد التاريخية في دلهي

أجزاء من صفوف الأعمدة ففي أعمدة مركزية قبة مدورة كما يوجد سقف على العمادين الجانبيين. تقوم الأعمدة على الخلوف ذات الأسنان وحفرت عليها كتابات لطيفة دقيقة جدا تزيد جمالا و حسنا. فيها ثلاثة شبابيك على الجانب الخارجي فالشباكان الأولان في وسط جدران الجانب بينما الشباك الثالث في جدران الخلف. هناك أعمدة هابطة في الجوانب الخارجية و الأجزاء المتوسطة الخارجة عن الجدران، لا نظير لها في بناءها. على قمته زهرة الشمس وأعمدتها لطيفة. وله شيء مهم يسمى ببابه المحرابي و لو أن طول و عرض هذه المحاريب سويان و لكن صورها جميلة و عريضة بالنسبة لطولها. و القباب الثلاث جميلة نظرا إلى بناءها و حجمها و لكن أسلوبها و صفها نقص في جمالها - اصطباغه بالجص يفوق البيان. يرى بعض المؤرخين أن الاثنى عشرة قبة جميلة للغاية كانت بابا رئيسا لهذا المسجد و لكنه بعيد عن الحقيقة.

(٧) مسجد موث:

لا يزال يعرف هذا المسجد بنفس الاسم. يقال بناه الوزير الأعظم لسكندر اللودي ميان بوده (١٤٨٩-١٥١٥م). فهو يعتبر جامعا لكافة الخصائص الفنية من

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

العصر اللودي. يمكن أن نقدر نجاحه الفني من أن مسجد القلعة القديمة بني على هذا الطراز.

بني هذا المسجد في الجانب الغربي من الضفة المرتفعة. أمامه حجرات لها أبواب قوسية. يحيط به جدار قليل الارتفاع. يقع بابه الرئيسي على الجانب الشرقي و هو من حجر أحمر وأسمر و عليه تطريز من المرمر. على جانب الفناء ظلل مئمنة الهينة. توجد آثارها الكثيرة حتى الآن. و في المسجد فناء مستطيل مساحته ٨×٣٨ مربع متر و في قدامه خمسة أبواب محرابية. و هناك محراب عميق من حجر أحمر خارجا عن محراب الوسط.

على قمته شباك صغير، صنع على الجانبين الخلفين منارتان ذواتا طابقين و بابين محرابين. و في داخل المسجد فناء يحتوي على خمسة أجزاء ، في الوسط والأخير ثلاث قباب. تقوم القباب على الأعمدة الجانبية التي نموذج جذاب لفن الهندسة المعمارية. زاد الأحجار الحمراء والسفراء والنقوش و الصور المسجد جمالا و حسنا.

(٨) مسجد جمالي كمالى:

بدأ بناء هذا المسجد في ١٥٢٩م. يقع في مهرولي. ويحيط به جدار قليل الارتفاع. مدخل المسجد من الجدار الجنوبي و فناء

المساجد التاريخية في دلهي

الصلاة يحتوي على خمسة أبواب محرابية متشابهة طولاً وعرضاً إلا أن عرضها أكثر من طولها. يخرج الناس من باب الوسط. قوس المحراب عميق للغاية و عليه شباك مثل هيئة الكوخ، ونقوش كثيرة في السقف. كثر نقش الأزهار الذي كان من تقاليد العصر المغولي. على الجانب الأوسط والجانبين الآخرين أعمدة الحجر الأسمر التي تظهر جميلة لتطريز المحراب بالمرمر و الجداول. ينقسم المسجد، من داخله إلى خمسة أجزاء.سقوف أجزاء الطرفين سوية. صار الجزء الوسيط المثلث الشكل بسبب التعضيدات الجميلة. و عليه قبة مرتفعة. هناك ثلاثة شبابيك كوخية في الجدار الغربي بينما يوجد شباك واحد في الجدار الجنوبي. وفي الجوانب الخلفية المسجد منارات مئمنة الشكل تم تزيينها من طيات أجزاء محرابية و صفين من شبابيك محرابية. أما من جهة فن الهندسة المعمارية فهذا المسجد نموذج لمسجد موث و الطابق المتوسط للقلعة القديمة.

(٩) مسجد القلعة القديمة:

هو من مباني القلعة القديمة التي نجت من آثار الدهر. بناه شير شاه السوري في ١٥٤٠م ويقدم لنا غاية كمال مساجد عصر اللوديين ومنها مسجد موث و مسجد جمالي. له فناء مساحته ١٥×٥١ مربع متر. فيه خمسة أبواب محرابية تشبه غطاء حديدياً منسم الفرس فكل باب

ثقافة الهند، المجلد ٥٣، العدد ٢-٤، ٢٠٠٢

داخل في باب مستطيل آخر خارجه عتبة مستطيلة يحيط بها أعمدة صغيرة من الجانبين. يوجد نقش على القوس من المرمر وغيره من الأحجار الثمينة و على داخل قمته شباك صغير. يتشابه المحرابان مع أنهما ساذجان. و على جانبي خلف المسجد منارتان مثنمتا الشكل و طابقيين ، فيهما شبابيك محرابية، و على السقف قباب جميلة متشابهة.

ينقسم داخل المسجد إلى خمسة أجزاء. تم تزيين محاريب الجدار الغربي التي تقابل أبواب القدام بأنواع من الرسوم الأكلديسية من المرمر الأبيض و الأسود. إن السقف القوسي جميل جدا بما أنه يقوم على أعمدة جميلة. و بالجملة فهذا المسجد يتساوي أجزاءه المختلفة. و لسبب تطريز المرمر يجدر بأن يعد من أجمل مساجد البلاد و لاسيما من مساجد العصر قبل المغول.

(١٠) المسجد الجامع :

هذا المسجد الكبير يعتبر أجمل مباني هذا النوع في الهند كلها بناه الملك شاه جهان في المدة ما بين ١٦٥٠ - ١٦٥٩م بتكليف عشرة ملايين روبية بعد ما نقل العاصمة من أغره إلى دلهي. خريطته تقليدية. أساسه مرتفع زهاء تسعة أمتار . درجاته مرتفعة كذلك و تبلغ مساحتها إلى

المساجد التاريخية في دلهي

١٠٠ مربع متر التي تقع على ثلاثة جوانب. على الأطراف الخارجية ظلل ذات اثنتي عشر عمادا مع أبراج المرمر.

طول فناءه ٦١ مترا و عرضه ٢٧ ونصف مترا. أمامه أحد عشر محرابا. هناك نقوش كثيرة على الوسط الذي اعتدى السقف. على جانبيه منارتان طولها ٤٠ مترا، ولهما ثلاثة أطباق، على قممها أبراج من المرمر وعلى سطحها سطور من الحجر الأحمر و المرمر الأبيض. هناك ثلاث قباب متساوية الشكل موضوعة من المرمر. وضع فيها السطور من المرمر الأسود لتزداد جمالا. وكذلك برجان على الأطراف وعلى الجانب القبلي في الجدار الغربي. وتحمل كل هذه الصفات الفناء العالي مثالا للجمال و الكمال. وقد صار هذا البناء نموذجا كاملا لفن الهندسة المعمارية لاتحاد الباب العالي و الحجرات. نعم إن حجم هذا المسجد كبير إلى حد ولكن أجزائه العديدة اختلطت فيما بينها كان كافة البناء أصبح يتيمة الدهر في الجمال و الكمال.

